

المثاقفة الشعرية في إبداعات الشاعر عاشور فنيّ.

شعر الهايكو أنموذجا

Poetic acculturation in the works of poet Ashour Fanni.

Haiku poetry as a model.

د/ فضيلة لواني

معهد الآداب واللغات

المركز الجامعي عبد الله مرسلّي تيبازة/ الجزائر

الايمل: louanifadhila@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/07/01

تاريخ القبول: 2024/12/01

تاريخ الإرسال: 2024/11/04

الملخص:

عرف الشعر الجزائري تطوّرات مختلفة، سائر فيها معظم المراحل والتّغيّرات التي طرأت على الشعر العربي، واغترف من كلّ ما حملته أشكال التّجديد والتنوّيع من مواضيع أفرزتها معالم التّمدّن والتّحضّر، ممّا جعله ينسج علاقات أدبية تعدّت حدوده النّصيّة إلى ما وراء الفعل الإبداعي الخاصّ به، باحثا عن كلّ ما يمكنه من امتلاك صورة جمالية وفنّية راقية، ترسم صورته ومكانته، وتعرّف به جماهير القراء خارج حدوده الإقليميّة، وقد لمعت أسماء متعدّدة في حقل الشعر الجزائري المعاصر، استطاعت أن تقدّم لمسات إبداعية فنّية راقية، شكّلت فسيفساء من التنوّع نتيجة انفتاحها على أدب الآخر وثقافتها معه، كالشاعر عاشور فنيّ الذي تمكّن من تقديم نماذج شعرية، كشعر الهايكو الذي أعطى قيمة مضافة للشعر الجزائري المعاصر، ووسّع من مساحة الإبداع فيه.

الكلمات المفتاحية: النّص، الشعر، الهايكو، التطّور، المعاصرة.

Summary:

Algerian poetry has seen various developments, with most stages and changes in Arabic poetry. Scoop from all the topics of renewal and diversification brought about by the features of civilization and urbanization That has led him to weave literary relationships beyond his textual boundaries beyond his own creative act,

Looking for everything that enables him to have a high-end aesthetic and artistic image s extraterritorial audiences ". And with multiple names in the field of contemporary Algerian poetry, she was able to offer high-end artistic creative touches. She formed a mosaic of diversity as a result of her openness to and intercourse with the other's literature. Like the poet Ashour, he was able to present poetry models, such as Haiku poetry, which added value to contemporary Algerian poetry, and expanded the space for creativity in it.

Keywords: text, hair, haiku, evolution, contemporary.

مقدّمة:

تعدّ قصيدة الهايكو نوعا من الإبداع الشعري الذي يعتمد على التّفرد برؤية خاصّة في التعبير عن الأشياء، وترجمة الأحاسيس، وهي لمسة إبداعية تشير إلى امتلاك شاعر هذه القصيدة ذوقا متميّزا، وقد نالت قصيدة الهايكو اهتماما متزايدا من قبل شعراء الأدب العربيّ الذي سخروا أقلامهم وقرائهم لنظمها، وجعلها وسيلة إلتقاء وانصهار وتلاحم بين أدبهم، والأدب الياباني، وأداةً للتّنوع في الشعر العربيّ، وتلويحه بأشكال مختلفة من طرائق الإبداع، ويعود سبب احتفاء شعراء الأدب العربيّ بهذه القصيدة، وهذا النوع من الشعر إلى ما تمتلكه من خصوصيات ذاتية تفصل بينها وبين نظيراتها من القصائد الشعرية الأخرى، ونظرا لما أحدثته من صيت على مستوى التّداول العالميّ لها، فقصيدا الهايكو لم تعد اليوم قصيدة يابانية فحسب، بل أصبحت لونا شعريا عالميا، تحظى بالقبول والممارسة في مختلف الشّعريات عبر العالم، كما تعتبر في حدّ ذاتها، محاولة إنعقاد للأدب العربيّ من تأثير الشّعريات الغربية التي ظلّت، وما زالت تمثل أرضية قيام الشعر العربي الحديث، واللّون المسيطر على خصائصه ومميّزاته، كما فرضت على الدّائقة الأدبية نوعا من إنقطاع النّفس لدى الشّعراء والقراء على حدّ سواء، ومن خلال التّأمّل والمعاينة الدّقيقة لطبيعة هذا الصّنف من الشعر والقصائد نجد بأنّ الهايكو هو نظم ينساب أثره من الطّبيعة التي تملي على الشّاعر جملة من الأحاسيس المتدفّقة، التي يعرف كي يُحوّرها، ويترجمها في لحظة آنية إلى شعرٍ يعكس كثيرا من الاختصاص في التّأمّل، كما يعكس طريقة نظر الشّاعر، وانسجامه مع الطّبيعة التي تعتبر مرجعيته في الاستلهاج التّعبيريّ، يأخذ منها لغة الشعر والأحاسيس، ولون المعاني، وهو بذلك يعتمد على مركز طاقة واستمداد، أو مادّة أدبية، يمتصّ منها ما يشاء، أي أنّ نظمه هو نظم يرتبط بأنفس وقرائح، ونظرات ذات ميزة متفردة، تسعى للبحث عن التّحرّز من دائرة الممارس المتعارف عليه، إلى فضاء رحب يثير دهشة المتلقّي، ويجلب فكره واهتمامه، ويمكّنه من نيل تذوّق جديد للشعر،

كما يدفع بالشعر الجزائري المعاصر إلى ارتياد مكانة متقدمة، غير التي يستقرّ فيها، أي أنه وسيلة تعريف جديدة بالشعر الجزائري، وأداة لتمكينه من الوصول إلى مساحات تلقّ خارج حدود نشأته، وقد اهتم كثير من شعراء الجزائر بهذا النوع من الشعر في هذا العصر، كالشاعر عاشور فيّ، والذي بذل جهوداً نوعية في نظمه وإبداعه بما يتوافق وطبيعة الشعر العربي الجزائري، وتعدّ عمليات التجريب في هذا النوع من الشعر سبباً قوياً لطرح إشكالية مفادها: ما الذي قدّمته تجرّبه هايكو الشاعر عاشور فيّ للشعر الجزائري المعاصر؟ في ظلّ أشكال التّسابق والمنافسة التي يمارسها الشعراء العرب المعاصرون ليصلوا إلى مصاف المراتب العالمية المتقدمة.

1- تعريف قصيدة الهايكو:

تشير الدلالة المعجمية لكلمة "هايكو" في اللغة اليابانية إلى معنى "طفل الرّماد"¹، وهي دلالة غير مكتملة، ناقصة المعنى في نظر التعريف المعجمي، الذي يستلزم ضرورة التّوضيح التّهائي لمعنى الكلمة المعرفة، (المقصودة بالشرح)، أي أنّها تحيل على تعريف وشرح آخر لها، وقد تكون كلمة رمزية تنطوي على معنى عميق يستوجب تحصيله باستعمال التّأويل، ومنهم من قال بأنّها تفيد معنى "العبارة الممتعة المسلية"، مستدلاً على هذا المعنى من خلال تفكيك بنية الكلمة المتكوّنة من المقطع الأوّل "هاي" الذي يقصد به معنى "مُضحك" أو "مُسلٍ" أو "مُمتّع"، والمقطع (كو) الذي يقصد به معنى كلمة "العبارة" أو "الكلمة"²، ويرى المترجمون والنّقاد بأنّ المعنى الأخير هو أقوى دلالة من سابقه، نسبة إلى ارتباط شعر الهايكو في بعض مراحل تكوينه بالمزح، والتّلاعب بالكلمات، والتّسليّ بذلك، وهذا ممّا يعني أنّ الهايكو هو حسّ الطّرافة بشكل جدّي، ففي كثير من الأحيان تتحوّل الصّراحة في الحياة، والدّقّة في التّفكير إلى مواقف مضحكة.

كما نجد تعاريف أخرى لشعر الهايكو، باعتباره "قصيدة تتألّف من ثلاثة أسطر، تتشكّل في مجموعها من سبعة عشر مقطوعاً لفظياً، وتنطوي على صور من الطّبيعة، أو إنطباعات حولها مع كلّ ما تتضمّنه من طقوس وعادات وكائنات حيّة، على أن تكون المفردات يابانية أصلية"³، أي أنّ طبيعة هذا

¹ تاريخ الهايكو الياباني، ريو يوتسويا، تر: سعيد بوكرامي، كتاب المجلة العربية، الرياض، (بدون تاريخ)، ص 07.

² شعرية الهايكو في الشعر الجزائري المعاصر ديوان "قل .. فدل" لفصيل الأحمر أنموذجاً، شريفي ياسمينه وبراهمي صبرينة، بحث ماجستير غير منشور، جامعة بجاية، الجزائر، 2020، ص 33.

³ أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو، هنري برونل، تر: محمد الدنيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2005، ص112.

القصيدة لا يمكن سحها على حقول ممارسات أدبية أخرى، إلا بشرط التقيّد المطلق بأصول خصائص لغة التعبير، ونجد بأنّه (الهايكو) يعني " القصيدة التي تقوم على بيت واحد، يتألف من ثلاثة أسطر، تشكّل في مجموعها سبعة عشر مقطوعاً صوتياً"¹، ومن التعريفات التي ركّزت على الجانب الصوتي، ما ورد على لسان الناقدة "آمنة بلعلی" التي قالت بأنّ قصيدة الهايكو "تتمثل في نظام المقاطع التي تتكوّن من ثلاث جمل، تحوي الأولى خمسة مقاطع، والثانية سبعة، والثالثة خمسة، كما تحمل كلمة، توجي إلى الفصول، وأخرى تفصل بين الجملتين"²، والملاحظ على التعريفات السابقة، أنّها راعت الجانب الشكليّ لبنية شعر الهايكو، وموضوع اهتماماته.

2- خصائص الهايكو:

يتميّز شعر الهايكو بمجموعة من الخصائص التي تفرقه عن الشعر العربي، تتمثل هذه الخصائص في النحو الآتي:

1- الكيفو:

يقصد بها الإشارة الفصلية، أي "إنّ كلّ قصيدة، ترتبط بفصل من فصول السنة، وفهم هذه الارتباطات يساعد في فهم الهايكو من هذا الارتباط الفصلي والذي قد يكون دقيقاً جداً وغير مباشر، من خلال زهرة أو طير أو حالة ترتبط بفصل"³.

2- الطّبيعة:

تعدّ الطبيعة القاعدة الأساسية في شعر الهايكو، فعلى الرّغم من عدم انتمائه لشعر الطّبيعة، إلا أنّها مجال من مجالات اهتمامه"⁴، فالطّبيعة هي مصدر إلهام روحي تساعد على إخراج تلك الأحاسيس التي تثيرها بلغة بسيطة بعيدة كلّ البعد عن التعقيد اللفظي أو المعنوي.

3- اللحظة (الآنية):

إنّ "العنصر الأساسي لشاعر الهايكو هو التدرّب على عيش اللحظة"⁵، أي أنه ينقل الصورة أو المشهد الحسيّ إلى المتلقّي بكلّ ظروفه، وما يختلجه من أحاسيس في تلك اللحظة.

¹ - مختارات من شعر الهايكو الياباني، عبد القادر الجموسي، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط1، 2015، ص 05.

² - خطاب الأنساق، آمنة بلعلی، الانتشار العربي، بيروت، ط: ١، ٢٠١٤، ص: ١٤١.

³ - بنية قصيدة الهايكو العربية، زهية بومجان، محمد مكاي، مجلة النصّ، عين الدفلى، مج9، ع2023، ص174.

⁴ - شعر الهايكو الياباني وإمكانياته في اللغات الأخرى، حمدي حميد الدوري، ص21.

⁵ - نصّ الهايكو، مفهومه ومميزاته، وقيمه العالمية، بلحيا عبد الحاكم، ص136.

4-التكثيف:

يعدّ الهايكو قصيدة مكثفة مكتفية بذاتها، ولو كانت مكوّنة من ثلاثة أسطر، وليست مقطعا في قصيدة طويلة تتكوّن من مقاطع متعدّدة، لذا فهي لا تحتاج لغيرها كي تكتمل معناها ومن أجل ذلك، لجأ بعض شعراء الهايكو إلى الهايكو إلى وضع عنوان لكل هايكو، بحيث تكفي القصيدة بثلاثة أسطر دون أن تُخل بمعناها.

5-الاختزال:

تعدّ قصيدة الهايكو أقصر قالب شعري ياباني، وقد اشتهرت بهذه الخاصيّة المتمثّلة في الاقتصاد اللّغوي الشديد، فهي تقتصر على حدّ أدنى من الكلمات، وتقوم على الجملة الناقصة فالهايكو هو قول يكون لحظة بلحظة¹.

6- البساطة:

يقصد بها تعبير شاعر الهايكو عمّا يختلج مكنوناته الداخليّة، بلغة بسيطة بعيدة عن التّصنّع، حيث تعدّ بساطة اللغة وتراكيبها من أبرز سمات الهايكو، فهي لا تحتاج إلى معجم لغوي لشرح مفرداتها.

7- نماذج شعر الهايكو في القصيدة العربيّة: ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول الشّاعر الجزائري

المعاصر عاشور فيّ²:

عُيُونُ الحُدَيْقَةِ

تُحَدِّقُ بِي

وَقَلْبِي فَرَاشَةً.

وقد عرف الأدب الجزائري كثيرا من القصائد الهايكو، وتحوّل بعضها إلى مجاميع شعرية على غرار "أعراس الماء" و"ما بين غيايين يحدث أن نلتقي" للشّاعر المذكور آنفا "عاشور فيّ"، و"كرز الحقد" لفارس كبيش"، أو بعض كتابات الشّاعرة "حبيبة محمدي" والشّاعر "فيصل الأحمر"، وتعدّد التّجارب في هذا السّياق، بدأ البعض يتساءل حول ما إذا كان الأمر يتعلّق ببحث عن نَفَس جديد للقصيدة الشّعريّة في الجزائر، أم هو "اغتراب"، ولو اتّخذ وجهة الشّرق الياباني.

¹ - المرجع نفسه، ص 136.

² - هنالك بنين غيايين يحدث أن نلتقي، عاشور فيّ، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط 2007، ص 13.

وقد انسأب هذا التّموذج الشّعري إلى القصيدة الجزائرية، وعكف على نظمه مجموعة من الشّعراء أمثال الشّاعر معاشو قرور الذي استطاع نظم أربعة دواوين في هذا النّوع من القصيدة، حيث تتمثل هذه الدّواوين في:

- 1- هايكو اللّلق¹.
- 2- هايكو القيقب².
- 3- أسطرلاب لقياس الكيغو³.
- 4- حقل مضجّ بشقائق النّعمان⁴.
- 8- تعريف المثقفة الشّعريّة:

أمّا مصطلح "المثقفة" الأدبية فيقصد به ذلك التّلقيح والإخصاب الذي يحصل للأدب، من خلال الإفادة من الآداب الأخرى، واستفادة مبدع من نماذج إبداعية فنّية يستقيها من الآداب الأخرى، يطبعها بطابع أدبه المحلي القومي، فالمثقفة هي تفاعل أفكار أديب معيّ بأفكار الآخرين وبالأخذ المفيد من آرائهم ودعواتهم⁵.

وترجع أهمية المثقفة إلى أنّها تمثّل طرح رؤيتنا على الآخر أو العكس، فهي تفاعل بين الدّات والآخر من أجل صياغة جديدة، تعكس رؤية تطورية وحضارية للعالم، فهي تختزل واقع تعايش وتلاقح ثقافات مختلفة، تقوم على أساس من المشاركة الضّمنية بين الآخر والآخر بغية إنتاج معرفة موضوعية، تهدف إلى الارتقاء بالإنسان وشروط حياته.

9- الدّراسة التّطبيقية:

وقد اتسمت نصوص الشاعر عاشور فني بخاصية (الكيغو) فوردت الفصول الأربعة في

ديوانه "هنالك بين غيايين يحدث أن نلتقي"، ورد في فصل الربيع:

الربيع

من أي ثقب

¹ - هايكو اللّلق، معاشو قرور، دار فضاءات، عمان، ط 2015، 1.

² - حقل مضجّ بشقائق النّعمان، معاشو قرور، دار الشامل، فلسطين، د.ط، 2019.

³ - هايكو القيقب، معاشو قرور، دار فضاءات، عمان، ط 2015، 1.

⁴ - أسطرلاب لقياس الكيغو، معاشو قرور، دار الأوطان، الجزائر، ط 2019، 1.

⁵ - محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 2، د.ت، ص 109.

تسللت إلى قلبي

هذا العام¹؟

هنا جعل من فصل الربيع عنواناً لقصيدته، ليجسد هذه الخاصية في نصه الهائيكوي.

وأما عن فصل الشتاء فجعل طائر الغراب دليلاً على قدومه قائلاً:

غراب

وحده الغراب

يستقبل نذر الشتاء

على طرف المزبلة².

فحلول فصل الشتاء هو بمثابة فصل تشاؤم يذكر الشاعر بأيام الضيق والنكد، والحزن لذا تشاءم منه، وقد عبّر عن مقدمه بذكر طائر الغراب الذي اختاره بعناية، مستمداً ذلك الاختيار من مدونة التعبير التراثي العربي القديم، فالغراب كما جاء على لسان الأدب العربي طائر كانت العرب تتشاءم منه، وبه في شعرها، كما عبّر باستخدامه مضافاً إلى المزبلة التي تحوي في طياتها ألواناً مختلفة من المخلفات والنفايات، إشارة منه إلى هذا الفصل الذي تمتلئ أيامه بمختلف أشكال وصور البرد نتيجة حدوث ألوان من التساقط، والرياح، واكفهرار الجو بشكل مستمر، واختباء أصناف من الحيوانات والطيور، والألوان عكس فصل الربيع الذي تزدهر فيه الحياة.

وقد كان لفصل الصيف المكانة في ديوان عاشور فني حيث يقول:

نهاية الصيف

هبة هواء بارد

تكنس بقايا الصيف

على الشاطئ³.

يصف الشاعر نهاية الصيف وبداية فصل الخريف الذي لم يصحّ به الشاعر نظراً لما يتسم به من

تغيرات مفاجئة، وغيوم وسحب تعكس تجربة الشاعر المؤلمة التي تفادى ذكرها.

¹ - الديوان، عاشور فني، ص 22.

² - المصدر نفسه، ص 23.

³ - المصدر نفسه، ص 31.

ويظهر من خلال شعر قصيدته هذه أنه بادر إلى تكرير فصل الشتاء أكثر من مرة، فالأولى بين فيها الوجه العام لهذا الفصل، والمرة الثانية بين فيها الجو الداخلي للعائلة التي تجتمع وتلتف حول الدّفء، دفء العائلة وهو الشيء الذي افتقده الشاعر، كما يبيّن سحب الشاعر أيضا للحالة العائلية في أصل قصيدة الهايكو المستوحاة من مجتمع لا يقيم وزنا للعلاقة العائلية كالتّي يتّسم بها مجتمعنا، جاعلا من تلك الحالة التي استقاها وجها من أوجه الألم التي عانى منها الشاعر.

وقد تحدث عن الصيف في عدة أماكن منها:

في الصّيف

تتفتح كل أزهار البحر

الأمواج.

الشمسيات¹.

ويظهر في ذكره لهذا الفصل مدى انبساطه وفرحه بهذا الفصل الذي يعتبره مجالا واسعا ترتاح فيه نفسه، فتكرار الذكر هذا الفصل، هو من قبيل التّعبير عن عوالم داخلية تنشد راحتها فيه، انطلاقا من تجربة نفسية فيّاضة، تنهل من مرجعية فكرية أساسها التّفاعل النّفسي مع حركة الطّبيعة التي تقيم تأثيرا قويا في المبدع ليبني نظمه على ما يتقرّر لديه من أحاسيس ومشاعر تنبت بسقاية صور وألوان المنهات الطّبيعية من فصول وما تخلّلها من خصائص، وهنا تظهر صفة المثاقفة التي امتثلها الشاعر في بناء جانب جديد من جوانب الشّعر الجزائري المعاصر، جاعلا من الهايكو مادّة تفاعلية، فالجانب التّعبيريّ في هذه الأبيات ينبع من ذات تتميز بأحاسيس مختلفة، وتتفرّد في طابعها باحتوائها على مادّة فكرية تفرز تلك الأحاسيس، والعواطف الرّومانسية التي لا تشبه رومانسية الشّعراء المألوفة، بل رومانسية تتوحّد مع الطّبيعة، وبهذا نجد بأنّ تجربة الهايكو الجزائري هو تلك العمليات التّعبيرية التي تنهل من حركة النّفس التي ارتادت سلوكات تربوية روحانية معيّنة، حيث تكون هذه الحركة مرتبطة بالتأمّل، وبالنّظر إلى الأشياء والإحساس بها بطريقة مختلفة مغايرة لا تتطابق أو تتوافق مع نظيراتها من طرائق التّعبير والرّؤية لدى بقية الشّعراء، معتمدة لغة رمزية للتّعبير عن الأفكار والمشاعر والرّؤى والهواجس، ومعتمدا أيضا كتابة تنزاح عن التّجريد، وتلتمس التّجسيد، إذ اعتمد على الحواس الخمس: الشم، والذوق، والسمع، والبصر، واللمس، من أجل تحقيق لحظة الدهشة حيث يجد القارئ نفسه في مشاركة تفاعلية مع الشاعر بجميع حواسه وأحاسيسه.

¹ - المصدر نفسه، ص 22.

إذا كان لكل كتابة تقنياتها التي تميزها عن باقي الأشكال الأدبية، فللهايكو تقنياته التي تجعل منه كتابة إبداعية قائمة بذاتها وتحدده كنوع أدبي له مكوناته الخاصة به، وآليات اشتغاله التي تجعله شكلا فنيا. يمكن حصر هذه التقنيات في سبع تقنيات: المقارنة، والتباين، والترابط، والغموض، وتضييق البؤرة، والرسم التخطيطي، والتركيز على الحواس .

الاختزال: الاختزال هو الإيجاز الذي يتمثل في وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقلّ منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**، فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، وتقوم

تقوم نصوص الهايكو في مجملها على التكتيف الواعي الذي يسرف النص معه في القصر المخل، الطول ووات وأساسيات شعر (الهايكو) "يعد الإيجاز من مؤثرات وأساسيات شعر الهايكو وقد تمكن من رسم لوحات شعرية مكثفة كما هو موضح من خلال النماذج التالية:

الكتابة

جرح واقف

في الذات

ظله يمشي على الورق¹.

في هذه القصيدة يمثل العنوان الفاتحة لدخول عوامل النص والتواصل معه، (سهرة) بنوع من الاحساس الاجتماعي الذي يظهر في لفظ الكلمة المباشرة، أما كلمة قدحان فارغان، فهي تحتل تأويلات متعدّدة (قراءات)، فقد يكون الداعي إلى الشرب هو الألم، وقد يكون ذلك الفراغ المعنوي الذي أراد أن يملأه بالإبحار بعيد في غياهب الشرب.

وأما (طاولة خالية) فهي تحمل في طياتها الإحساس بالوحدة، فقد تكون خالية من الناس هنا، خلوا ماديا أو معنويا من الفراغ العقلي (فارغا من العقول)

(شفاه تواصل الحديث) وهي تشير إلى عدم وعي عقل المتكلم من ينطلق من شفتاه من كلمات، فكل هذه الكلمات اختزلها الشاعر لتكون أوعية كثيفة للمعاني، وحمالة أوجه لقراءات متعدّدة، بعيدة عن الإطناب.

يتماثل شعر الهايكو الياباني مع الهايكو الجزائري في البنية الدّاخلية التي تعدّ تعبيرا كامنا لا يمكن الوصول إليه إلاّ بتفعيل آلية التّأويل، وتجاوز حدود البنية السّطحية عبر تفكيك شيفرات الوحدات

¹ - الديوان، عاشور فني، ص 37.

الرّمزية التي تعتبر بوابات ينفذ من خلالها القارئ ليصادف المعنى الذي يعرفه على مقاصد خطاب الشّاعر الذي نحا فيه نحو دلّاليا مغايرا لطبيعة الخطاب المألوف، معتمدا على جملة من الاختيارات اللفظية التي تعتبر نوعا من المهارة والإتقان في التّحكّم في المعاني، تطويعها لخدمة ما يريده الشّاعر من أغراض دلالية خاصّة، فلغة الهايكو هي لغة رمزية ومجازية ذات أوجه دلالية متعدّدة كثيرة مفتوحة على أكثر من تأويل تنماز بالتّخيل، والإنزياح المعنوي والدّلالي مع التّمثيل والتّشبيه والاستعارة، والغموض والكناية، وعدم التّصريح والمباشرة في التّعبير أو التّقريرية المباشرة في مختلف نصوصهم، فمجال تجربة شعر الهايكو الجزائري الذي امثله الشّاعر عاشور فّي مجال خصب، كون رواد الهايكو الياباني إعتمدوا واعتمدوا واعتمدوا على توظيف إشارات ودلالات، ورموز ومعاني تختلف عن إستعارات ودلالات الأدب، والفلسفة، والسّياسة، والكلام والمنطق وغيرها في لغتهم واستعاراتهم، وتشكّل هذه الاستعارات في تركيبها وتكوينها سياقاً خاصاً فيه مفردات وجمل متميزة، فتصبح لكلّ مفردة دلالة، ولكل تركيب مفهوم لا يفقه معناه إلّا من عاش أو تذوّق، أو عرّف التّجربة الهايكوية، ولا يمكن دراسة النّصّ، وخاصّة لغته، إلّا بعد الرّجوع إلى المعرفة الأصلية لهذا النّوع الشعري، لأنّ اللّغة هنا تكونت من منظور تأمليّ خاضع لسلسلة من الإستعدادات والممارسات الخاصّة، لأنّ هذه الأخيرة ليست فقط تجربة في الرّؤيا والنّظر، بل هي أيضا تجربة في الكتابة.

كما نجد تقاربا وتمائلا في بنية لغة القصيدة الشعريّة الهايكوية اليابانية مع صاحب قصيدة الهايكو الجزائري الذي أنقن عملية إختيار الكلمات لتوظيفها بالطريقة التي يريدها في شعره، انطلاقا من المعاشة العميقة للحظة الإستبصار الكبرى التي يرى فيها العادي رؤية غير عادية فتراه بذلك يبصر ما لا يبصره غيره.

فقصيدة الهايكو الشعريّة هي طريقة جديدة في الكتابة الإبداعية تحضى بمغايرة رؤيوية وتشكيلية تبتعد عن لغة المألوف من الشّعر العربي، فكأنّها نموذج تمّ استقدامه في حقل الممارسة الشعريّة الجزائرية بالخصوص، بغرض إضفاء مساندة للشّعر الجزائري بمختلف أشكاله لدفعه نحو الرقي والتّألق والبروز، بعيدا عن الانغلاق، فتجربة الهايكو الجزائرية "لحظة جمالية لا زمنية في قصيدة مصغّرة، موجزة، ومكثّفة تحفّز المخيلة عن البحث عن دلالاتها، وتعبّر عن المألوف بشكل غير مألوف، عبر التقاط

مشهد حسّي طبيعي أو إنساني ينطلق عن حدس، ورؤيا مفتوحة تتسع لمخاطبة الإنسان، في كلّ مكان من خلال ومضة تأملية صوفية هاربة عن عالم مادّي ثقيل محدود ضاق بأهله¹.

وإذا ما قارنا هذا القصيدة الهايكوية اليابانية مع تجربة الشاعر عاشور فيّ مع تعريف القصيدة الهايكوية لا نجد فرقا بيننا بينهما، فكلاهما يعتمدان على مبدأ التّكثيف الدّلالي الذي يستقرّ في البنية العميقة داخل حيّز أشبه بالهلام الذي يتجمّع مشكّلا كتلة بنيوية واحدة، كما يعتمدان أيضا مبدأ الاختيار اللّغوي الذي يوظّف الألفاظ الرّمزية ضمن محور التّركيب الشّكلي الذي يعبر عن المألوف بغير المألوف، أي مخالفة اللّفظ للمعنى الظّاهري، وهذا طبيعة إستعمال اللّغة الشّعريّة الصّوفية، كما يرد نصّ الهايكو مضغوطة مقلّص الدّال كثيف المدلول، يدرك معناه بفعل القراءة المتأنّية المتأمّلة عن كون شعري لا متناهٍ في مشهدياته²

فنصّ الهايكو هو التقاط وتسجيل لحدث بسيط جدّا، (قضيّة معيّنة)، ولكنها تعتبر حدثا استثنائيا جدا في نظر الشّاعر، فهو يراها بمنظور مختلف، ومن زاوية مخلفة لغيره، يركّز فيها نظره، وتفكيره على ما تخفيه الواقعة أو الحادثة موضوع خطابه، والتي تعتبر في حدّ ذاتها معنى مستترا³، فطريقة كتابة هذا النصّ تقوم على توظيف التّأمّل كوسيلة للوصول إلى إدراك الحقيقة لتعقبها عملية التّرجمة اللّغوية المناسبة، التي تتيح مساحة للمعنى أكثر من حملتها المعتادة له من خلال الاعتماد على التلميح والإشارات البعيدة المتعدّدة، فنجدها ذات بنية لغوية موجزة لكنها بالمقابل تخضع عقل الشّاعر للبحث مليّا عن اختيار ما يناسب ذلك الإيجاز من ألفاظ تناسب ما يعبر عنه، وتستجيب لرسالته.

كشعر السيّدة "كاجانوشيو" (1703، 1775) التي فقدت زوجها، ورثته بأسطر قليلة موجزة مقتصدة اللّغة بقولها⁴:

- 1- لَيْسَتْ سِوَى حُلْمٍ يَطُوفُ بِحَالِمٍ
- 2- إِنِّي لَأَنَامُ...وَإِنِّي لَأَسْتَيْقِظُ.
- 3- فَمَا أَفْسِحُ السَّرِيرَ بِغَيْرِ زَوْجٍ فِي جَوَارِي.

¹ - الهايكو العراقي والعربي بين البنية والرّؤيا، البستاني بشرى، مجلة رسائل الشعر، تموز 2015، العدد 03، ص 47.

² - نفحات من الهايكو اليابانيّ، نورالدين ضرار، منشورات نويغا، الرباط، ط1، ص 07.

³ - ينظر: الهايكو (كائن بلا رأس!!)، محمد نسيم، مجلة الهايكو العربي، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، العدد 06، السنة (02) 2017، ص 34.

⁴ - فصول من الأدب العالمي، دلال عباس وحسن جعفر نور الدين، ص 01.

فإذا تأملنا في مكونات البنية الشكلية لهذه الأسطر الشعرية وجدناها قليلة جداً، إجهدت فيها الشاعر جهدها في انتقاء ما رأته مناسباً للتعبير عن أحاسيسها، من خلال جعلها من المهمش والمهمل الإعتيادي شيئاً جميلاً، وذا قيمة معنوية لا يلاحظها الناس عادة في زحمة إنشغالهم بالواقع أو من فرط تشبّعهم بما هو رتيب¹، يبرز بالإحالة فقط على ما تريده من معاني ودلالات، تنتقل من ظاهر الملفوظ النصي إلى باطنه، تخضع فيه ترجمة الشعور إلى جملة من الاستعمالات المقعدة التي تحتكم إلى تتوظيف رموز الجماعة اللغوية أي الكلمات التي تنتهي لحقل التداول الكلامي، مشوّبة بكثير من المنهات والمثيرات التي تحت عقل القارئ المتلقّي على ضرورة التفكير بوعي دقيق يستصحب معه كل الاحتمالات الفكرية التي ترسم له طرق الوصول الصحيح إلى مبتغى الشاعر، ولئلا تفقد عملية القراءة ميزة الفاعلية في تفكيك رمزية الشاعر التي يستمدّها في كتابته لنصّ الهايكو من مرجعية فكرية عريضة لا يمكن أن يفكّ رابطة الاتصال عنها، فهي التي تمدّه بسمة الشعرية، إذ نجد بأنّ هذه الرّمزية تبدوا كتحاليم مقدّسة يجب استحضارها من فلسفة الزّن البوذية²، ف شعر الهايكو هو شعر ذو طبيعة تنبعث من فضاء تأمليّ روحيّ، ينبعث من هالة روحانية داخلية ضمن فضاء لانهائيّ، يتماهي في خلق نصّ يعمل على تصوير العالم من خلال رؤية معيّنة لا يراها كما يراها الناس، وهو ما انتبه إليه الشاعر عاشور فيّ.

وعموماً نجد بأنّ تجربة الشاعر عاشور فيّ الهايكو، قد بنيت على قاعدة التأمل في الأشياء والنظر فيها، وطريقة معالجتها من منظور متفرد، وباختيار اللغة المناسبة، فنظمه هو نظم ينطلق من المادّة الروحانية التي تعمل كمولد للطاقات الإحساسية له، والتي تترجم بعبارات شعرية ذات لغة رمزية تشير إلى ما يريده الشاعر، ولا يمكن معرفتها معرفة سريعة، أي أنّها تحتاج إلى جهد تأويليّ يمتلكه المتلقّي لفكّ شفراتها، أي أنّها تستدعي تأملاً نوعياً في مادّتها قصد إدراك النظرة الدّاخلية للشاعر، في إشارة تبين بأنّ متلقي هذا النصّ الشعري لابدّ أن يكون من الصّنف النّوعي الذي يمكنه التّغلغل فيه، وتذوّق معانيه.

الخاتمة:

¹ - مسبحة الهايكو بلا مجاز وبغير زخارف، روشيلد جين، تر: مصطفى جمال، قاب قوسين، صحيفة ثقافية، نشره webmaste على الرابط: <http://www.qabaqaosayn.com> بتاريخ 13.04.2018.

² - ما الهايكو؟ فريد أمعشوه، مجلة رسائل الشعر، العدد السابع، تموز 2017، ص 48، 51.

ومن خلال القيام بدراسة هذا الموضوع تمّ التّوصّل إلى جملة من النتائج التي نبرزها في التّحوّلات الآتية:

- 1- قصيدة الهايكو هي تعبير شعري ينبع من ثقافة غير عربية تختلف بيئتها وعلامتها الثقافية، إلّا أنّها تستمدّ مرجعيّتها التّعبيرية من لدنّ النّظرة الفلسفية البوذية.
- 2- نصّ الهايكو الشعري هو نصّ يقوم على اختيار الحدث، واختيار الكلمة، وإدراك العلاقة بين اللفظ والدلالة التي يقابلها.
- 3- اختصاص قصيدة الهايكو بالتركيز على العمق، والدلالة الموحية التي تقرّبنا من مراد الشّاعر يتجاوز حدود البنية السّطحية الظّاهرة، وأنّ مقتضى النّظم يهدف إلى التّعبير عن نظرة معمّقة لحدود الشّيء أو الحدث.
- 4- للغة التّعبير في شعر الهايكو هي لغة تعبير عن المألوف بغير المألوف أي إستعمال اللغة لغير ما يمكن أن تعبّر به عند عامّة المتلقّين، فهي لغة العقل الحكيم الذي يصل إلى إدراك كنه الأشياء باستخدام وسائل محدّدة.
- 5- تنال الرّمزية في شكلها البسيط الذي لا يدرك للوهلة الأولى مكانة عالية، فالشّاعر يختار اللفظ الذي يردّه من محيط التّداول الكلامي المألوف لكن لجعله نافذة تحيل على معنى نافذ بعيد غير مباشر.
- 6- يختصّ النصّ الشعري بخاصيّة تفرّد الشّاعر لامتلاك النّظرة المختلفة التي تجعل منه شخصا متقدّما في الشّعور، وبعيدا في تقدير الرّؤية.
- 7- لغة الهايكو الشعريّة لغة تقنية محضّة تختصّ فقط بمن يتقن اختيار الألفاظ القليلة لتكون ذات حمولة دلالية لمعنى كثيرة.
- 8- تجربة الهايكو للشّاعر الجزائري عاشور فتي هي تجربة ذات مواصفات متطابقة مع تجربة المنشأ، فهي لا تقبل التّوظيف العشوائي للألفاظ، ولا الشّاعر الذي يفتقد لغة التّعبير الرّمزي.
- 9- الرّمزية، ولغة الشّعور العميقة، والخفاء، وبعده الرّؤية، والعيش في عوالم النفس، هي مرجعية ثقافية تفاعلت معها تجربة الهايكو الجزائرية التي انطلقت من عمق ثقافة وأصالة هذا الفنّ الشعري.

10- اهتمام الشعر الجزائري بقصيدة الهايكو هو نوع من فعل الانفتاح والممازجة التي تعرض هذه القصيدة (الهايكو) على كل ألوان الممارسة الشعرية، وبمختلف طبوعها لتحديث عملية التلاقح والتنويع والتوسيع.

وعموما استطاعت تجربة الشاعر عاشور فني أن تقدم قيمة نوعية وفنية للشعر الجزائري المعاصر، جعلت منه شعرا يرقى إلى مصاف الذوق العالمي الذي يتلقى الجمالية الإبداعية من أشكال الحياة.

المصادر والمراجع:

- اريخ الهايكو الياباني، ريو يوتسويا، تر: سعيد بوكرامي، كتاب المجلة العربية، الرياض، (بدون تاريخ)، ص 07.
- شعرية الهايكو في الشعر الجزائري المعاصر ديوان "قل .. فدل" لفصيل الأحمر أنموذجا، شريفي ياسمينه وبراهمي صبرينة، بحث ماجستير غير منشور، جامعة بجاية، الجزائر، 2020، ص 33.
- أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو، هنري برونل، تر: محمد الدنيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2005، ص112.
- مختارات من شعر الهايكو الياباني، عبد القادر الجموسي، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط1، 2015، ص05.
- خطاب الأنساق، آمنة بلعل، الانتشار العربي، بيروت، ط: ١، ٢٠١٤، ص: ١٤١.
- بنية قصيدة الهايكو العربية، زهية بومجان، محمد مكاي، مجلة النصّ، عين الدفلى، مج9، ع2023، ص174.
- شعر الهايكو الياباني وإمكانياته في اللغات الأخرى، حمدي حميد الدوري، ص21.
- نصّ الهايكو، مفهومه ومميزاته، وقيمه العالمية، بلحيا عبد الحاكم، ص136.
- هنالك بنين غيايين يحدث أن نلتقي، عاشور فني، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط2007، ص13.
- هايكو اللقلق، معاشو قرور، دار فضاءات، عمان، ط2015، 1.
- حقل مضجّ بشقائق النعمان، معاشو قرور، دار الشامل، فلسطين، د.ط، 2019.
- هايكو القيقب، معاشو قرور، دار فضاءات، عمان، ط2015، 1.

- أسطراب لقياس الكيغو، معاشو قرور، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2019.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، دت، ص109.
- الديوان، عاشور فني، ص22.
- الهايكو العراقي والعربي بين البنية والرؤيا، البستاني بشرى، مجلة رسائل الشعر، تموز 2015، العدد 03، ص47.
- نفحات من الهايكو الياباني، نورالدين ضرار، منشورات نويغا، الرباط، ط1، ص07.
- ينظر: الهايكو (كائن بلا رأس!!)، محمد نسيم، مجلة الهايكو العربي، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، العدد 06، السنة (02) 2017، ص34.
- فصول من الأدب العالمي، دلال عباس وحسن جعفر نور الدين، ص01.
- مسبحة الهايكو بلا مجاز وبغير زخارف، روشهيلد جين، تر: مصطفى جمال، قاب قوسين، صحيفة ثقافية، نشره webmaste على الرابط: <http://www.qabaqaosayn.com> بتاريخ 2018، 04، 13.
- ما الهايكو؟ فريد أمعضشوه، مجلة رسائل الشعر، العدد السابع، تموز 2017، ص48، 51.